IJTIHAD JOURNAL
for Islamic and Arabic Studies

Volume 1 - Issue 1, January - June 2024
مجلد 1 - عدد 1، يناير – يونيو 2024

الزوايا الدينية بقبائل شمال المغرب
دراسة سوسيولوجية
(قبيلة أنجرة أنموذجا)

الدكتور محمد قروق كركيش
* كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة ابن طفيل، القنيطرة المغرب
mohamad.kirkich@gmail.com

الدكتور إبراهيم حمداوي
* كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة ابن طفيل، القنيطرة المغرب
brahim.hamdaoui@uit.ac.ma

OPEN ACCESS

تاريخ الاستلام: 8 يناير 2024
تاريخ التعديل: 22 فبراير 2024
تاريخ القبول: 17 مارس 2024
المعرف الرقمي: DOI: 10.5281/zenodo.12549000

IJTIHAD CENTER
FOR STUDIES AND TRAINING

الملخص:

تسعى هذه المقالة إلى دراسة أحد أهم أنماط التدين بالقبائل المغربية، وعلى وجه الخصوص بقبيلة أنجرة بالشمال الغربي المغربي، وهو ظاهرة الزوايا الدينية، باعتبارها تمظهرا للنسق الديني بصفة عامة، أو التدين بالشمال المغربي بصفة خاصة، وذلك من خلال الكشف عن بنية هذه الزوايا وأصولها وامتداداتها، وعن أصنافها وأنواعها، ومختلف الطقوس والمعتقدات الدينية المرتبطة بها، والتغيرات التي شملتها بين الأمس واليوم.

وتتوزع هذه المقالة ثلاثة مباحث، بالإضافة إلى مقدمة وخاتمة. خصصنا المبحث الأول لدراسة توثيقية وتعريفية بمختلف أنماط الزوايا الدينية بقبيلة أنجرة في شمال المغرب. أما المبحث الثاني، فقد تناولنا فيه تاريخ الزوايا الدينية في المنطقة المدروسة، انطلاقا من مرحلة نشأتها وتتبعا لامتداداتها التاريخية. وفي الأخير، عالجنا في المبحث الثالث بنية الزوايا الدينية بالقبيلة، وما شهدته من تغيرات وتحولات. وقد اعتمدنا في ذلك مقاربة سوسيولوجية تحليلية-تأويلية، مبنية على البحث الميداني، وبالتحديد المنهج الكيفي على أساس "المقابلات الميدانية". بالإضافة إلى ذلك، انفتحنا على المستوى التاريخي التعاقبي الذي يزودنا بأهم التطورات التي قطعتها الزوايا في المغرب عامة، وقبيلة أنجرة خاصة.

الكلمات المفتاحية:

الزوايا الدينية؛ قبيلة أنجرة؛ الزاوية العيساوية؛ الزاوية الدرقاوية؛ الزاوية التيجانية.

Religious Orders in the Tribes of Northern Morocco: A Sociological Study

Anjra Tribe as a Model

Dr. Mohammed Karrouk KERKICH
Faculty of Letters and Human Sciences
Ibn Tofail University, Kénitra Marokko
mohamad.kirkich@gmail.com

Dr. Brahim Hamdaoui
Faculty of Letters and Human Sciences
Ibn Tofail University, Kénitra Marokko
brahim.hamdaoui@uit.ac.ma

OPEN ACCESS
Date received: Jan 8, 2024
Date revised: Feb 22, 2024
Date accepted: Mar 17, 2024
DOI: 10.5281/zenodo.12549000

ABSTRACT

This article discusses one of the most prominent types of religiosity among Moroccan tribes, focusing specifically on the Anjra tribe in northwestern Morocco. It delves into the structure, origins, varieties, associated rituals, and evolving beliefs of these orders, identifying the changes they have undergone over time. The article is divided into three sections. The first section offers a documentary and introductory study of the various types of religious practices of the Anjra tribe. The second section traces, the history of such religious orders, from their inception to their historical development. Finally, the third section, addresses the structure of the tribe's religious orders and the transformations it has witnessed. In this regard, we employ an analytical-interpretive sociological approach, based on field research utilizing, qualitative methods, specifically "interviews". Additionally, the research incorporates a historical perspective, presenting the most important developments within the Zawiyas in Morocco at large, and the Angra tribe in particular.

KEYWORDS:
Religious Orders; Angra Tribe; The *Issawiya* Order; The *Darqawiyya* Order; The *Tijaniya* Order.

مقدمة[1]

تتعلق الدراسة التي بين أيدينا، بواحد من أهم أنماط التدين بالمغرب عامة، وبالمنطقة الشمالية على وجه الخصوص، وهي الزوايا الدينية، التي كانت منذ ظهورها إلى يومنا هذا، تؤدي أدوارا متعددة ومختلفة تأخذ شرعيتها من الحقل الديني، هذا الذي جعلها حلقة أساسية في استمرار مجموعة من الطقوس والمعتقدات الدينية، رغم ما اعتراها اليوم من تغيرات على مستويات بنيوية.

فهذه الدراسة تهم على وجه التحديد الزوايا الدينية في قبائل الشمال، في واحدة من أكبر قبائل جبالة؛ وهي قبيلة أنجرة، التي تقع حسب ما كتبه 'موليراس'[2] بشرق الفحص وطنجة، توجد بمنطقة جبلية بُنيت عليها مدينة سبتة الخاضعة لإسبانيا، كما تقع أنجرة حسب توصيف آخر، "على مشارف مضيق جبل طارق، وفي المنطقة المتراوحة ما بين مدن سبتة، طنجة، تطوان، وتبعاً لذلك فهي تشكل إحدى قبائل ما يُعرف في الفترة المعاصرة بجبالة"[3]، وأنجرة بشكل دقيق واقعة بأقصى الشمال الغربي على مضيق جبل طارق والبحر المتوسط، تتكون من ثلاثة أرباع أو بطون هي: ربع البرقوقيين وربع الغابويين وربع البحراويين، فقبيلة أنجرة "تمثل أقرب نقطة ترابية إفريقية للقارة الأوروبية بتواجدها على امتداد الساحل الرابط بين مدينتي سبتة وطنجة، وعند ملتقى البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي، ومنذ نشوء الحضارة العربية في الأندلس شكلت منطقة عبور من وإلى المغرب، ونقطة اتصال رئيسية مع اسبانيا"[4]. لذلك فهي منطقة مهمة، حافظت رغم قربها الأوروبي على التقاليد الدينية والطقوس والمعتقدات المرتبطة بأنماط التدين المختلفة، وعلى رأسها الزوايا الدينية.

من أجل هذا، سنسلط الضوء في هذه الدراسة، على أهم الزوايا المنتشرة بقبيلة أنجرة، سواء منها التي اندثرت ولم يعد لها وجود اليوم، وذلك من أجل فهم طبيعة التغيرات أو الأسباب التي أدت إلى عدم

[1] **To cite this article:**
KERKICH, Mohammed Karrou; HAMDAOUI, Brahim, Religious Orders in the Tribes of Northern Morocco: A Sociological Study (Anjra Tribe as a Model), Ijtihad Center for Studies and Training, Belgium, Vol. 1, Issue 1, June 2024, 277-301.
محمد قروق كركيش، إبراهيم حمداوي، الزوايا الدينية بقبائل شمال المغرب: دراسة سوسيولوجية (قبيلة أنجرة أنموذجا)، مركز اجتهاد للدراسات والتكوين، بلجيكا، مج. 1، ع. 1، يونيو 2024، 277-301.

[2] أوجيست موليراس، المغرب المجهول:اكتشاف جبالة، الجزء الثاني، ترجمة عز الدين الخطابي، منشورات تيفراز، مطبعة النجاح الجيدة، الدار البيضاء-المغرب، الطبعة الأولى 2013، ص 541.

[3] المختار الهراس، معلمة المغرب، الجزء الثالث، الجمعية المغربية للتأليف والنشر، مطابع سلا، الرباط-المغرب، 1991، ص817.

[4] عبد السلام فيغو، مجلة صدى أنجرة، إصدار المجلس العلمي المحلي، العدد الثاني، مطبعة الطوريس، طنجة-المغرب، 2013، ص25.

اســتمرارها، أو تلك التي لازالت اليوم حاضــرة، تلعب أدوارا مختلفة، من أجل فهم طبيعة هذه الأدوار والوظائف، ولفهم نســقها البنيوي، وعلاقاتها بالنســق الديني، وبالبنية المجتمعية القبلية بشــكل عام، خصوصا أن أهل أنجرة في تدينهم "أنزلوا القداسة من السماء إلى الأرض، بتشييد القباب وبناء الأضرحة والزوايا والمزارات، وهكذا أصبح المجال مليء بقبور ورباطات وأشجار وينابيع ماء يحج إليها الناس، تحاط بهالة من التقديس بدعوى أنها تتوفر على بركة"[1]، وذلك بناء على مقاربة ســوسـيولوجية تحليلية-تأويلية؛ خصــوصــا أن "التأويل هنا عملية تقود إلى فهم المعنى"[2]، بالإضــافة إلى عُدة منهجية شــملت على وجه الخصــوص "المقابلات الميدانية" والتي تمكننا من فهم الظاهرة على المســتوى الواقعي الملموس بالطريقة نفسها التي أقرها رواد السوسيولوجيا وهي "دراسة الظواهر باعتبارها أشياء أو كأنها أشياء"[3].

بنية الزوايا الدينية بالقبيلة: الثابت والمتغير

يذكر الباحث محمد جندوبي[4] أن الزاوية في المغرب لم تعرف إلا بعد القرن الخامس الهجري، حيث انتقل اسمها من 'دار الكرامة' إلى 'دار الضيافة'، ثم إلى اسمها المعروف حاليا بـــ'الزاوية'، إلا أن تسميتها بدار الكرامة كانت من جانب ارتباطها بالمفهوم الإحساني، العائد من حيث الإحالة التاريخية إلى السلطان الموحدي أبي يوســف يعقوب المنصــور الذي قام بتأســيس زاوية بمدينة مراكش، أطلق عليها اســم 'دار الكرامة'، رغبة في إطعام الفقراء والمحتاجين والمعوزين، في حين أطلق عليها فيما بعد، اسم دار الضيافة، لكونها ستنتقل من عملية إطعام الفقراء والمحتاجين إلى عملية إيواء وضيافة الناس، والملاحظ أن الزاوية هي نتيجة لعلاقة الأفراد الدينية ولتجاربهم الدينية الشــخصــية والجماعية، "فكل دين على مســتوى الجوهر يتميز بالعلاقة التي يقيمها بين أتباعه ومقدســاته؛ أي تلك العلاقة التي تجعل من العبادة ركيزة للثقافة الســائدة وثابت من ثوابتها، تلك العلاقة المنتظمة في نســق اعتقادي/عبادي لتكوين جماعة المؤمنين أو أمتهم"[5]، الأمر الذي يعني أن نسق المعتقدات الدينية إنما هو أساس قيام الزاوية.

ويمكن القول أن هذه التســمية ظهرت تاريخيا في عهد ســلاطين الدولة المرينية؛ حيث اهتم الســلاطين بتأسيس شبكة من الزوايا لأمور إحسانية، ببعض المدن الكبرى، غير أن البعض يعتبر أنها لم تنشأ لأمور

[1] Chelhod Josef : Les structures de sacré chez les Arabe (Islam d'hier et d'aujourd'hui) ; Ed Maisonneuve et Lazare ; Vol.XIII ; paris ; 1965 ; pp :132.

[2] Wilhelm Dilthey ; The Rise of Hermineutics ; In P.conerton (ED) Critical Sociology ; Penguin Book ; 1970, p105.

[3] إيميل دوركهايم، قواعد المنهج في علم الإجتماع، ترجمة محمود قاسم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة-مصر، 1970، ص 30.

[4] محمد جندوبي، الأولياء في المغرب:الظاهرة بين التجليات والجذور التاريخية والسوسيوتاريخية، منشورات كنال أوجوردوي، مطبعة دار القرويين، فاس-المغرب، 2004، ص 15.

[5] Gabriel Le Bras: Etude de sociologie Religieuse ; vol2 ; PUF; paris; 1953; pp 20.

تتعلق بالإحسان بقدر ما كانت ولادتها ضرورة سياسية ملحة خصوصا "إبان الأزمة التي كان يمر بها المغرب انطلاقا من وفاة السلطان المريني أبي عنان سنة 760هـ/ 1358م، وتكالب الإسبان والبرتغال على المغرب وعجز الدولة المرينية عن القيام بفريضة الجهاد، الأمر الذي ساعد على قيام وظهور زوايا على رأس الحركة الجهادية لمقاومة الغزو الإيبيري"[1].

لكن سوسيولوجيًا يمكن القول أن نشأة الزاوية في المغرب لطالما ارتبطت بعامل المشيخة؛ بمعنى أنها حافظت على الروابط المتينة بين شيخها المؤسس ومريديها، إلا أنه سرعان ما ستتحول كما جاء على لسان باحثين كثر، على رأسهم ديل إيكلمان[2]، إلى إيديولوجيا قاهرة، عندما ارتبطت مباشرة بأدوار استراتيجية سياسية للدفاع عن الهوية وحفظ المجال الترابي، ستصبح الزاوية مؤسسة لاستقطاب المجاهدين والدفع بهم إلى مواجهة الأخطار الخارجية والداخلية، حتى أنها ستظهر بشكل قوي لتتحكم بشكل مثير في العلاقات والروابط القبلية جميعها، فيتحول مؤسسها من ولي صالح عالم مجاهد إلى زعيم سياسي ذو صبغة دينية.

يمكننا القول أن الزاوية بالمغرب سواء في المدينة أو البادية، إذا كانت قد عرفت إبان نشأتها بكونها تضطلع بالأدوار الدينية الإحسانية والتعليمية، ثم أصبحت تؤدي أدوارا سياسية واجتماعية، ستتحول من جديد مع نهاية الاستعمار في أواسط القرن العشرين إلى أدوارها الاجتماعية الدينية التعليمية السابقة، هذه الدورة ستحكمها عوامل متعددة أهمها اندثار الأخطار الخارجية، وتحكم السلطة في كل القوانين المنظمة للدولة؛ بحيث لن تترك مؤسسة السلطان لمؤسسة الزاوية شيئا بعد ذلك، لتصبح مؤسسة جامدة وغير قادرة على أن تقوم بكامل أدوارها السابقة، ومن ثم سترتبط بمعتقدات لم تكن قبلُ معروفة بها أو تتدخل فيها، تماشيا مع السلوك الديني للأفراد، الذي يتغير باستمرار،"لأن السلوك الديني هو أيضا وقبل كل شيء شكل خاص من النشاط الاجتماعي"[3] عامة.

إن هذه الدورة، التي نعتبرها غير طبيعية، ستسم مراحل ظهور الزوايا ليس فقط لدى جبالة عامة، أو في قبيلة أنجرة بشكل مخصوص، بل في كامل التراب المغربي؛ بحيث سيرتبط تأسيس الزاوية بهذه القبيلة الشمالية بشكل مباشر بالدين، وستكون ولادتها مرتبطة أشد الارتباط بالأولياء والشرفاء الأولين الذين عمّروا بالمنطقة، لكن هذه الزاوية سرعان ما ستتحول أدوارها إلى أدوار سياسية، مع بزوغ فجر الغزو

[1] محمد عمراني، الشرف والسلطة السياسية بالشمال الغربي المغربي، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط-المغرب، 2015، ص 131.

[2] ديل إيكلمان، الإسلام في المغرب، ترجمة محمد أعفيف، سلسلة تاريخ ومجتمعات، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء-المغرب، الطبعة الأولى 1991، ص 23-35.

[3] Jean Marie Vincent : Rationalité et conduite de la vie ; science politique (s) ; vimé ; N° 2-3 ; Mai 1993 ; p 51-64.

الخارجي للبلاد وللقبائل الشمالية من جديد؛ حيث ستظهر زوايا أخرى ليست دينية بقدر ما هي جهادية، وبالتالي فلا يمكن بتاتاً أن نفصل تاريخ مؤسسة الزاوية بشكل عام لدى جبالة بتاريخ الزوايا المغربية عامة.

إلا أنه يمكننا أن نحتفظ بنوع من الخصوصية، وذلك أن الزوايا القائمة رمزيا وماديا على الشرفاء والأولياء ستحتفظ إلى حدود ما بعد القرن العشرين بكل أدوارها الاجتماعية في بلاد جبالة، في حين ستختفي الزوايا ذات الصبغة السياسية من الوجود مع نهاية حقبة الاستعمار مباشرة، وستطلعنا الوثائق التاريخية للإدارة الاستعمارية وكذلك الدراسات الإمبريالية التي حصلنا عليها وحللناها، إلى أن منطقة جبالة ستولد فيها زوايا متعددة لن تكون سوى صنيعة الظرفية وسرعان ما ستزول كما لو أنها لم تكن.

الزوايا الدينية: الأصول والامتدادات

عرفت قبيلة أنجرة ثلاثة أصناف من الزوايا في فترات متباعدة: الصنف الأول يستمد مشروعيته من مؤسسة الولاية والصلاح (الشيخ الولي الصالح)، بكونها مؤسسة ترتبط بالبركة والكرامة، ظلت أدوارها اجتماعية ودينية وتعليمية بالخصوص، بعيدة كليا عن اللعبة السياسية، وإن كانت في بعض الظروف الجزئية تُستغل لذلك، وهو الصنف السَّباق للظهور في القبيلة، نذكر على وجه التخصيص الزاوية العيساوية والدرقاوية والتيجانية، وبإمكاننا القول أن هذه الزوايا ظلت محافظة على أدوارها إلى اليوم. في حين أن الصنف الثاني لا يرتبط بمؤسسة الصلاح أو الولاية ولا علاقة له بقداسة الأولياء، وإنما ظهر مع بزوغ الاستعمار ليؤدي أدوارا سياسية، وهو يستمد سلطته من مؤسسة الزعيم (الشيخ الشريف المجاهد)[1]، ونذكر بالخصوص الزاوية الريسونية التي تنحدر أصولها من سيدي يونس بن أبي بكر'عم شيخ جبالة مولاي عبد السلام بن مشيش، حيث كان الريسوني يبسط سلطته السياسية على كل تراب جبالة. أما الصنف الثالث فأخذ من الصنفين، فهو يستمد مشروعيته من مؤسسة الصلاح والولاية لكنه سرعان ما يعود لتأكيد هذه المشروعية عن طريق لعب الأدوار السياسية، ونذكر بالخصوص

[1] ينبغي أن نشير هنا إلى أن قبيلة أنجرة عرفت شيوخا مجاهدين كثرا غير الرسونيين، نذكر منهم الشرفاء البوعيشيين والعمرانيين، لكن هؤلاء لم يستطعوا تأسيس زاوية بالمعنى السوسيولوجي للكملة، بل سرعان ما اختفت زعامتهم السياسية، فقد كانت زواياهم ظرفية (مستجوبون ينتمون إلى مدشر بلعيشش بقبيلة أنجرة).

الزاوية الوزانية التي تنحدر أصولها من الشريف الوزاني المدفون بمدينة وزان، والبقالية التي تعود أصولها إلى محمد بن عبد الله الحاج البقال.[1]

الصنف الأول ظل محافظا على نفسه من الاندثار وحافظ على قدر كبير من وظائفه الاجتماعية والدينية إلى حدود اليوم، ذلك لأن هذا الصنف لم يدخل في متاهات اللعبة السياسية، أما الصنف الثاني فقد زال تدريجيا، وعبر مراحل من القبيلة، بزوال الاستعمار من جهة، وبتحكم الدولة في قبائلها عن طريق وضع هيكلة سلطوية هرمية تعتمد الأشياخ والمقدمين والقضاة والأعوان التي دمرت القوانين العرفية للسلطة السائدة في القبيلة من جهة ثانية، أما الصنف الثالث فقد قضى على نفسه حينما تحولت أدواره الاجتماعية والدينية إلى أدوار سياسية، فظل يعاني في فترة ما بعد الاستعمار حينما أراد أن يعود إلى أدواره الرئيسية في القبيلة.

إن أول زاوية أسست تاريخيا في تراب أنجرة كانت الزاوية العيساوية، ثم تبعتها الزاوية الدرقاوية، فالتيجانية، إلى أن ظهرت الزاوية الوزانية في القبيلة بعدما كانت منتشرة في تراب جبالة عامة، والتي حاولت السيطرة على جبالة كلها بشكل مزدوج، فسعت من خلال مشروعيتها الدينية بالإضافة إلى أدوارها القائدية السياسية إلى بسط نفوذها بشكل مذهل، على أن الزاوية الوزانية لم يكن لها موضع أو قرار أو مكان في أي مدشر من مداشر قبيلة أنجرة، إلا أن شرفاءها استطاعوا أن يسيطروا على جزء منها، وخصوصاً في ربع البرقوقيين والبحراويين؛ حيث كانوا يمتلكون أراض واسعة وعزايب كثيرة على طول الساحل. لقد كان إشعاعها يصل إلى أنجرة رغم أنهم لم يستقروا بها مجاليا، وقد حافظوا على سلطتهم منذ بداية القرن التاسع عشر، لكن هذه السلطة سرعان ما ستتراجع مع ثلاثينات القرن العشرين بشكل سريع، وستتقلص سلطتهم وسيصبح محرما عليهم الدخول إلى أنجرة بعدما وضعوا يدهم مع أيدي الأعداء طمعا في السلطة، هنا سيفتح المجال للشرفاء الريسونيين الذين سيتحولون إلى لعب أدوار البطولة، وسوف يؤسسون تكتلا قويا في قبيلة أنجرة، لمواجهة الأخطار الخارجية، وسيصبح أحمد

[1] عبد الله الحاج البقال، دفين ساحة الفدان بتطوان، سليل "يخلف بن محمد" الملقب بالبقال، الذي استقر في مجموعة من قبائل الشمال، 'كمصمودة واغزاوة'، يعود له الفضل في تأسيس مجموعة من الزوايا البقالية بقبيلة أنجرة وشرق الفحص وطنجة وتطوان والنواحي، أنظر محمد بن العياشي السكيرج، الدرر الآلي في ثبوت الشرف البقالي، طنجة-المغرب، الطبعة الثانية 1987، ص 37-40.

الريسوني[1] متحكماً في الجبال كما في السهول، لكن المعطى السياسي هنا، إنما يستمد مشروعيته من التدين الذي كان منتشرا في المنطقة، "فالسحر الديني يجعل الناس أتباعا حقيقيين"[2].

فمعروف أن أصول القائد الريسوني تعود كما نجد لدى الضابط والرائد والسوسيولوجي الإسباني خينارو أورياطي إلى:"سيدي يونس بن أبي بكر، عم مولاي عبد السلام بن مشيش وهم يحملون اسم أمهم 'لالة ريسون' بنت 'السيد' وهي أم سيدي علي بن عيسى أول من لقب بالريسوني، والمنحدرون منه هم أولاد بن ريسون أو ريسول، وإقامتهم العادية بمدشر 'الحصن' بجبل العلم بقبيلة بني عروس (من العلميين ذوي الأصول الإدريسية بالشمال)، ظلوا مشتتين حتى القرن العاشر الهجري، العصر الذي ظهر فيه رئيس العائلة سيدي 'عبد الرحمان العلمي اليونسي'[3]حيث كان يتمتع هذا الشريف بالتدين والتقوى، وقد قضى حياته كلها مع الشريف عبد الله الغزواني"[4].

في حين يذكر الباحث والمؤرخ عبد العزيز خلوق التمسماني أن "العوامل التي ساهمت في علو شأن آل ريسون بين السكان الجبليين، ترجع أولا إلى نسبهم الشريف، حيث أنهم ينتسبون إلى الأدارسة وإلى القطب الشهير عبد السلام بن مشيش، الذي كان ضريحه وما يزال قبلة للزوار من جميع الأفاق المغربية، إلا أن هناك عوامل أخرى؛ أهمها أن الزاوية قامت على أساس الجهاد والدفاع عن الوطن، منذ بداية ظهور الأطماع الصليبية بعد احتلال سبتة وسقوط غرناطة، وقد كانت لها وظائف متعددة؛ أهمها الوظيفة الثقافية التعليمية؛ بحيث كانت مركزا للتدريس ونشر الثقافة الإسلامية الأصيلة، ثم الوظيفة التحكيمية ذات الطابع السياسي، التي كانت تدعو إلى وحدة الصف، ونبذ الفروق، وضبط النزاعات بين كل القبائل الجبلية، بل كانت هذه الوظيفة تمتد لتشمل الوساطة بين الأمراء المتنازعين على العرش. وبما أن هذه الوظائف كانت تضمن لها حدا أكبر من السلطة، زادت وظائفها الاقتصادية من خلال العطايا والهدايا والأوقاف التي كان الجبليون يوقفونها عليها حتى كثر مريدوها وشاعوا بين الجبال"[5]، وبهذا يكون

[1] أحمد الريسوني من أحفاد أولاد بن ريسون، زعيم حركة الجهاد بمنطقة جبالة من 1912 إلى 1925 ميلادية، ثلاثة عشر سنة من المراوغات وشد الحبل مع أكثر من 70 من كبار ضباط شبه الجزيرة الإيبيرية، وقد خاض ضدهم أكثر من 409 معركة ميدانية أذاق العدو فيها مرارة الحياة، ويذكر المؤرخون أنه لولا كبر سنه وخيانة بعض البطانة له، والتي كانت تعمل معه لكان للمغرب تاريخ آخر. يضاف ما يلي: ينظر عبد الله بن عبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط-المغرب، الطبعة الرابعة 2003، ص 56-62.

[2] إدموند دوتي، السحر والدين في إفريقيا الشمالية، ترجمة فريد الزاهي، منشورات مرسم، مطبعة بورقراق، الرباط-المغرب، 2008، ص 9.

[3] هو سيدي عبد الرحمان العلمي اليونسي أبو زيد، عالم ورع ومتصوف، غلب عله الزهد والتبتل، مات في حدود 950 هـ، ودفن بقرية تازروت العروسية. أبو العباس أحمد ابن محمد الرهوني، عمدة الراوين في تاريخ تطاوين، الجزء الثامن، (بدون تاريخ)، ص 4-12-20-21.

[4] خينارو أورياطي، الروابط الدينية بجبالة ومختلف طوائف الشرفاء:الزوايا والأضرحة، ترجمة عبد العزيز العيادي العروسي، مطبعة سبارتيل، الطبعة الأولى 2010، ص 47.

[5] عبد العزيز خلوق التمسماني، جوانب من تاريخ جبالة المعاصر: القائد أحمد الريسوني وإسبانيا، منشورا سلكي إخوان، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء-المغرب، الطبعة الأولى 1996، ص 48-51.

الريسونيون من الشرفاء العروسيين، وقد استقر أحفادهم بأنجرة إلى تاريخ قريب في فترة الاستعمار الإسباني لمدن الشمال، وخصوصا في الربع الغابوي، ولازالت قبورهم إلي اليوم في مداشر بين الويدان والخرازة وسوق الخميس وبالقرب من ثلاثاء تاغرامت، وعلى أنهم كما نلاحظ استقروا في الربع الغابوي لتشعبه وصعوبة اختراقه، نظرا للدور الجهادي والتحصيني الذي كانت تؤديه.

وبما أننا نؤكد أن سلطتهم السياسية كانت قائمة على كل تراب جبالة منذ ولادة الشيخ عبد السلام بن مشيش الذي ظل الولاء له سائرا إلى اليوم، بكونه شيخ جبالة الروحي وملهمها الديني، فإن سلطة العروسيين السياسية تقلصت وخرجت من القبيلة ولم تعد لتشمل الحدود الخارجة عن قبيلة بني عروس، لكن الشرفاء العروسيين ظلوا متشبثين بنسبهم وحافظوا على سلطتهم الروحية التي لازالت قائمة إلى اليوم، فأهل قبيلة أنجرة لا ينكرون البتة سلطته الدينية، فلا زالوا مداومين على مواسمهم وخصوصا 'اعمارة مولاي عبد السلام بن مشيش' التي يخصص لها الجبليون يومين في السنة، هما: يوم النسخة في الخامس عشر من شعبان، بحيث يكون هذا اليوم وفق ما يسميه جبالة 'لعمارة'، هذه التسمية لها دلالة كبيرة عن ما يسميه الجبليون 'الموسم'؛ حيث يحضرها الجبليون، بالإضافة إلى الشخصيات المرموقة، والوزراء، والأعيان، من المغرب وخارجه. ويوم عرفة التاسع من ذي الحجة؛ والذي يقصده الجبليون من كل المناطق، حينما يكون الحجاج على صعيد عرفة، إنهم يؤكدون: أن الوقوف على صعيد جبل العلم في يوم عرفة في نفس لحظة الزمن القدسي بمكة هي بمثابة أداء ركن الحج الأصغر أو العُمرة، كما يحلو لهم القول؛ إنها بتعبيرهم الدارج 'حجة لفقرا' ومن هنا جاء اسمها كما استخلصنا من الكثير من الأنجريين المستجوبين (العمرة/اعمارة).

إذا كانت الزاوية الوزانية كما سلف، قد اندثرت من قبيلة أنجرة اليوم، وتبعتها في ذلك الزاوية الريسونية العروسية فإن الزاوية البقالية[1] سرعان ما ستعمل على تدعيم سلطتها بهذه القبيلة، لكن هذه السلطة ستصبح فيما بعد دون جدوى وسيتقلص دورها أيضاً لتصبح من أهم الزوايا التي سيلمسها الزوال من هذه المنطقة فيما بعد، وكما هو معلوم ومذكور في السجلات التاريخية فإن زاوية أولاد البقال تعود أصولها إلى "سيدي محمد بن عبد الله الحاج بن عبد الله الحاج بن أحمد بن محمد بن سيدي

[1] تنتسب الأسرة البقالية حسب المؤرخ محمد بن العياشي السكيرج إلى الولي الشهير 'يخلف بن محمد' الملقب بالبقال، المتوفى في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر للميلاد، وسبب تسميته بالبقال أنه قدم من بلاد الساقية الحمراء مجذوبا، ونزل بقرية من قرى قبيلة مصمودة القريبة من الموضع الذي أحدثت فيه مدينة وزان، فرأى عرسا لبعض أغنيائها، وسألهم أن يطعموه فأبوا، فسألهم مستنكرا: "وهل أذهب أنا لكي أكل العشب؟" فأجابوه:"افعل ما شئت"، فذهب يأكل من بقول الأرض، من هنا جاء لقبه 'البقال'، أنظر: محمد بن العياشي السكيرج، الدرر الآلي في ثبوت الشرف البقالي، طنجة-المغرب، الطبعة الثانية 1987، ص 45 (نتوفر على نسخة من المخطوط).

يخلف البقال إلى أن يصل نسبه للمولى إدريس الأزهر بن إدريس الأكبر"[1]، بمعنى أن البقاليين من سلالة السلاطين الأدارسة الذين تحصنوا في جبال الشمال، لذلك لا غرابة إن كانت هذه الزاوية ذات أصول سياسية.

لقد انطلق إشعاعها من قبيلة غزاوة[2] الجبلية نواحي وزان، فقد كانت الزاوية البقالية بحكم شرفها ومشروعيتها الدينية، كونها أولا تنتسب إلى البيت النبوي، ثانيا أنها تستمد مشروعيتها السياسية من السلطان الإدريسي[3]، سيطرت في هذه الفترة على كل تراب جبالة، وقد كان صيت البقاليين كبيرا لا يضاهى بين العوام والعلماء. كان للزاوية البقالية تاريخيا باع طويل في بلاد جبالة، حتى شاع شرف البقاليين واشتهر، فظهرت زوايا أخرى هيمنت على الربع الغابوي من القبيلة، وذلك لكي لا تقع في صدام مع زوايا أخرى؛ خصوصاً الزاوية العجيبية الدرقاوية التي لا زالت تسيطر على الربع البحري، فظهرت لهم زوايا بمدشر 'البيوت' و'بوعباد' ومدشر 'الداهر'؛ حيث كان أحد أحفاد البقاليين يدعى سيدي أحمد البقال يستقر بها حتى مات فدفن هناك، بالإضافة إلى سيدي محمد البقالي الدهري، الذي ولد هو الآخر بمدشر الداهر بأنجرة حوالي 1328-1330هـ[4].

لم يثبت لدينا ميدانيا إن كان للبقاليين زوايا بربع البرقوقيين؛ حيث تسيطر الزاوية التيجانية التي ستدخل إلى أنجرة عن طريق عائلة أبي العيش. على الرغم من أن الزوايا بأنجرة ستبرز وستكسب ود أهلها كونها تنتمي إلى عائلات شريفة، لها من البركة والشرف والولاية ما يخول لها الانتشار، إلا أنها غالباً ما لم

[1] خينارو أورياطي، الروابط الدينية بجبالة ومختلف طوائف الشرفاء: الزوايا والأضرحة، نفس المرجع السابق، ص 50-51.

[2] لم يجد 'يخلف بن محمد' الملقب بالبقال مستقرا بمصمودة فنزل بقبيلة 'اغزاوة' القريبة منها، واستقر فيها إلى أن مات ودفن بها بمدشر 'الوسطي' من فرقة بني مدارسين، ومنه تفرعت الأسرة البقالية الشريفة المجاهدة في شمال المغرب، نذكر مثلا بمدينة تطوان وأحيائها عبد الله الحاج البقال دفين ساحة الفدان، والولي سيدي عيسى دفين حومة السانية، وسيدي الطيب بن عبد السلام دفين زاوية البقاليين بزقاق الطرافين. أما مدينة طنجة القريبة أيضا من أنجرة والفحص، فتشتهر بعدة أضرحة بقالية، نذكر منها مثلا اشهرهم محمد الحاج البقال الملقب 'ببوعراقية' نسبة إلى عمامة كان يرتديها، والشريف محمد الغزواني دفين زاوية البقاليين بطنجة قرب باب الفحص وغيره. ينظر: أبو العباس احمد ابن محمد الرهوني، عمدة الراوين في تاريخ تطاوين، تحقيق الحاج جعفر بن الحاج اسليمي، منشورات جمعية تطاوين أسمير، الجزء الثامن، سلسلة تراث رقم 6، تطوان-المغرب، 2011، ص 4-5-12-20-21.

[3] لقد تأكد الدور السياسي للأسرة البقالية على أكثر من صعيد خارجيا وداخليا، بداية من السلطان المأمون السعدي ومحمد الشيخ السعدي من بعده كما نجد في كتاب الدوحة لإبن عسكر، وأيضا في العصر العلوي زمن المولى سعيد العلوي والمولى سليمان العلوي وصولا إلى المولى عبد الرحمان العلوي كما نجد في ممتع الأسماع للمهدي الفاسي، بل استمر الدور السياسي إلى الحسن الأول في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كل هذا يظهر من خلال ظهائر التوقير والاحترام (منه ظهير 954هـ، وظهير السلطان سيدي محمد بن عبد الله مؤرخ عام 1203هـ/1789م...إلخ) والمهام التي كان يوليها السلاطين لهم (منها مثلا الظهير الذي عين به السيد عبد الله البقالي بمنطقة في اقليم شفشاون، والحرائق قاضيا، ظهير تعيين نقيب الشرفاء البقاليين على عهد الملك الحسن الثاني...إلخ).

[4] محمد كنون الحسني، من أعلام الأسرة البقالية الشيخ سيدي محمد البقالي، أعمال ندوة الأسر العلمية بشمال المغرب (الأسرة البقالية نموذجا)، تنسيق مصطفى الغاشي وعمر البقالي، مطبعة الحمامة، تطوان-المغرب، 2018، ص 12-13.

تكن تصطدم مع بعضها البعض، وسنرى أنها كانت تنتشر في كل أرباع القبيلة، خصوصا الزاوية الدرقاوية والعيساوية والتيجانية، لكنها كانت تقع في الاصطدام عندما تتحرك زاوية إلى مدشر توجد به زاوية أخرى، لذلك سنجد أن أغلب الزوايا المنتشرة في أنجرة ستخترق مستوى القبيلة إلى الربع لكنها لا تخترق مستوى المدشر، فلا يمكن أن نجد مدشرا تستقر به زاويتان مختلفتان، لكنها كانت تخترق حدود مستوى الفرد، فكنا نجد مريدين لزوايا مختلفة من مداشر مختلفة ولو كانت تستقر بها زاوية معينة، كأن نجد مريدين للزاوية العيساوية في مداشر تستقر بها الزاوية الدرقاوية مثلا.

إلا أن الزاوية البقالية كانت تعرف في بدايتها بكونها زاوية لها أدوار سياسية أكثر من أنها زاوية تأسست لأغراض اجتماعية وتعليمية، وقد كانت في بدايتها شبيهة لنهج الزاوية الريسونية العروسية، إلا أن دورها سرعان ما بدأ يتعرض للتقويض بعدما دمرت الدولة أعراف السلطة القبلية، وانتهى زمن السيبة والاستعمار؛ حيث كانت الزوايا تسيطر على نسق السلطة، لتعود من جديد لتقوم بأدوار دينية وثقافية خوفا من اندثارها، لكنها فعليا منذ الهيكلة السياسية الجديدة بعد الاستعمار، بدأت في الانهيار تدريجيا حتى لم يعد لها أي تأثير يذكر، وخصوصا عندما توفي آخر أحفاد البقاليين الذين كانوا في كل فترة يتواجدون بالقبيلة، وبالخصوص الفقيه العلامة سيدي محمد البقالي الدهري[1].

وإذا كانت كل من الزاوية الوزانية والريسونية قد اندثرت من أنجرة بفعل عوامل ذاتية وغير طبيعية، كان أهمها نهاية حقبة الاستعمار، وتحكم الدولة في قبائلها عن طريق وضع سلط هيكلية هرمية بجميع القبائل، فإن الزاوية البقالية لم تكن متشبثة بنسق السلطة إلى هذا الحد، ما جعل عوامل اختفائها من قبيلة أنجرة لا ترتبط بالسياسة أو القوانين الوضعية بقدرما ارتبط اختفاؤها بعوامل طبيعية، والدليل على ذلك أن الشرفاء البقاليين، كانوا معروفين أيضا ببركتهم؛ حيث كان يلجأ إليهم الناس طلبا للشفاء من بعض الأمراض، والتوسط لهم في الخصومات، وغيرها من الأدوار، وهذا ما أثبتته الحكايات المتفرقة التي ظلت مخزنة في الذاكرة الشعبية عن العائلة البقالية الشريفة، التي كانت تجوب أنجرة بكل حرية.

لقد توفي جميع أحفاد البقاليين بأنجرة ولم يجدوا من يخلفهم حتى يحافظوا على إرثهم بهذه المنطقة الجبلية، فقد نزح أولادهم إلى المدن الكبرى وخصوصا مدينة طنجة التي نجد بها الكثير من البقاليين ؛حيث ضريح جدهم 'سيدي محمد الحاج بوعراقية'.

[1] ذكر لنا بعض المبحوثين في كل من مدشر الداهر بربع الغابة ومدشر طالع الشريف بالربع البحري، أن الزاوية البقالية كانت منفتحة على مختلف الطرائق الصوفية وبالخصوص الزاوية العيساوية والدرقاوية، ومن طقوسها قراءة الورد الذي يكون غالبا من طلوع الفجر إلى الشروق؛ ويتكون من: الإستغفار(100 مرة) ثم التصلية على النبي (100 مرة)، ثم لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (100 مرة)، ثم سورة الإخلاص (10 مرات)، ثم الفاتحة (10 مرات)، وأخيرا لا إله إلا الله (قدر الإستطاعة).

هذه إذن، هي أهم الزوايا التي دخلت أنجرة وأسست بها، ولم يعد لها وجود مادي إلى حدود سنة 2000، وقد حاولنا أن نتطرق لها لنعرف بشكل موسع الزوايا المتعددة التي عرفتها المنطقة، ثم لكي نعطي صورة عامة عن التغيرات والتحولات المهمة التي حدثت لها، وهذا لا يعني أن قبيلة أنجرة لم يعد بها زوايا تؤدي أدوارا متميزة، بل فقط قدمنا هذه الصورة عن زوايا اندثرت، ولم يعد لها وجود، ولكنها شكلت امتدادا مهما لزوايا دينية أخرى سترى النور.

الزوايا الدينية بأنجرة: أصناف و أنماط

سنعرج في هذا المحور على زوايا دخلت أنجرة، وظلت محافظة على أدوارها الرئيسة خصوصا التعليم الديني، ونخص بالذكر الزاوية العيساوية والدرقاوية والتيجانية، وهي زوايا ليست كسابقاتها، وما ميزها أنها ظلت دائما في استقلالية تامة عن الأدوار السياسية، وركزت فقط على الأدوار الاجتماعية والدينية والتعليمية، وعلى الرغم من أننا سنكشف عن أن أدوارها الدينية والتعليمية والاجتماعية قد قلت مقارنة بما كانت في السابق، إلا أنها لا زالت تقاوم التغيرات الجذرية التي مست القبيلة، خصوصا فيما يتعلق بدخول التعليم العصري، وبتقلص مستوى التعليم العتيق، و انخراط المجتمع بعمليات التحديث.

أ- الزاوية العيساوية: طقوس مفتوحة لتدين فرجوي

إن أول من أسس وأدخل الطريقة أو الزاوية العيساوية إلى قبيلة أنجرة من الناحية التاريخية، هو الشيخ الولي سيدي إدريس بن عيسى المدفون بمدشر طالع الشريف، من فرقة ربع البحراويين كما تأكد لدينا من خلال معطيات البحث الميداني، وأول زاوية بالمعنى العام للطريقة العيساوية، تم تأسيسها بهذا المدشر في بداية القرن السادس عشر الميلادي، بعدما دخل سيدي إدريس إلى منطقة أنجرة، ولا أحد يُنكر أن الزاوية العيساوية هي أول زاوية ستتأسس بها، وذلك واضح من خلال تاريخ دخول هذا الولي إليها، ممّا سيجعلها طريقة ذائعة الانتشار في كل أرباع القبيلة. ولا نود هنا أن نؤصل بشكل عام لتأسيس الزاوية العيساوية على يد الهادي بن عيسى بمكناس، لأن ذلك عمل قد تم وفي أكثر من مصدر[1]. وإنما هدفنا أن نؤصل للطريقة داخل القبيلة على المستوى السوسيولوجي.

نجد وفقا للمعطيات الميدانية أن هذا الولي كان يعلم مبادئ هذه الطريقة لطلابه الذين كانوا يأتون من كافة أنحاء أنجرة، كما يأتون من خارجها وخصوصاً من القبائل المجاورة؛ كقبيلة وادراس والفحص والحوز، وبعض المدن كطنجة وسبتة وتطوان، وقد كان رواد هذه الطريقة كثر لا يمكن حصرهم، إلى

[1] René Brunel : Essai sur La confrerie Religieuse des Aissaouas Au Maroc ; Afrique Orient ; Casablanca-Maroc ; 1988.

درجة أن كل مدشر من مداشر أنجرة كان يتوفر على مريدين عيساويين، وقد تأكدنا من خلال المقابلات التي أجريناها أن قبيلة أنجرة، كانت لوحدها تتوفر على أزيد من 30 علاماً[1]؛ أي أكثر من 30 زاوية متفرقة على أنحاء القبيلة، وكل من أراد أن يتعلم مبادئ الطريقة وأورادها، لابد له في ذلك الوقت أن يتعلم على يد سيدي إدريس حتى يعطيه ما يسميه الأنجريين 'ببركة الهادي بن عيسى'.

هذه البركة حسب اعتقاداتهم هي من تخول لهم تأسيس فرقة أو بالأحرى زاوية تابعة، حتى أن من أعطيت له هذه البركة فهو قادر على أن يعطيها أيضاً لمريدين جدد، "فلولاها لدمرت سبل الولاية والصلاح"[2]، وهكذا تكون سمة هذه البركة أنها تؤخذ وتعطى، بحيث أن هدفها هو الانتشار، فالبركة هنا، حسب تأويلاتنا إنما هي شيء رمزي يساهم في قبول الفرقة العيساوية من عدمها داخل القبيلة، فكثير من الفرق العيساوية التي تأسست لم يكن لها إسهام في تنشيط المنطقة دينيا، نظرا لأن مؤسسيها لم يكونوا من مريدي هذا الشيخ، أو لم تمنح لهم هذه البركة من قبله، لذلك ظل المجتمع الأنجري لا يقبلها، مما يعني أن هذه البركة لها فاعلية وقابلية بالنسبة إلى الناس عموما.

إن هذه البركة، التي هي قدرة خارقة متخفية، لا يدركها إلا من آمن بحق بمبادئ الطائفة، وعمل بها في الظاهر والباطن، لا يمكن أن تُؤخذ حتى يذعن المريد لشيخه بشكل تام، ويدرس مبادئها على يديه، وعندما يرى الشيخ أن المريد قد تعلم يأمره بجلب قطعة كبيرة مربعة، من الثوب الأبيض المصوف (رقعة) ليقرأ عليها بعض الآيات، ويذكر عليها أوراد العيساويين، فتكون هذه القطعة من الثوب في النهاية هي من ستعلق على عمود خشبي لتسمى 'علاماً'[3].

لذلك فالطريقة العيساوية تؤخذ بالتدرج وليس دفعة واحدة؛ حيث يجب على المريد أن يحصل على علم كبير بالمذاهب والأحزاب والأوراد، ما يلزمه وقتا كبيرا للدراسة والقراءة وخدمة شيخه، وعندما يتعلم يعطيه الشيخ 'بركة عيساوة' التي يدسها له في العلام، ولا يمكن لبركته أن تستقر حتى يزور مقام الشيخ الكامل بمكناس مرارا، ويتوعده بالحفاظ على الطريقة ومبادئها؛ حيث أن حضور ضريح الشيخ المؤسس يعد رمزيا، ثم تؤسس الزاوية وتكون سلطتها هرمية، الشيخ والمقدم ثم المريدين الذين يسمون بـ'الفُقَارا'، ويمكنهم حينئذ إقامة ما يسمى لدى الأنجريين بـ'اللمات'، وعندما نعود إلى الجذر اللغوي لهذه الكلمة نجدها تحيل على معاني الجمع؛ بمعنى أن اللَّمة هي في الأصل عملية يجتمع فيها العيساويون، بعضهم مع

[1] يقول الأنجريون أن أنجرة كانت تتوفر على أزيد من 30 علاماً بمعنى أزيد من 30 فرقة عيساوية تتوزع على كافة المداشر الكبرى بالقبيلة، والعلام أيضاً دليل على تواجد زاوية عيساوية مستقلة.

[2] A.Bel : L'Islam Mystique, suivi de ES-SOYOUTI :les dires du prophète ; édition Jules Carbonel ; paris ; 1928, p 60.

[3] مقدم الزاوية العيساوية بمدشر طالع الشريف بقبيلة أنجرة، قمنا معه بمقابلة، زودنا بكثير من المعطيات الميدانية المهمة.

بعض لإقامة طقوس روحية دينية واحتفالية. فوظيفة هذه الزاوية بأنجرة ارتبطت بطقوس دينية فرجوية، إذ لم يكن لها أي دور سياسي، خلافا لما يقوله البعض، فلم يثبت لدينا من خلال معطيات البحث الميداني، أنها تدخلت في شأن من الشؤون السياسية، بل ارتبطت دائما بأسباب مرضية، تتعلق من جهة بمرض يسمى 'لارياح' حسب ثقافة المنطقة، أو ما يسمى شعبيا بـ'المس الشيطاني'، لذلك يؤكد مريدوها أن بركة الطريقة العيساوية تطرد الأرواح الشريرة من ذات الإنسان. ومن جهة ثانية يقيم الأنجريون اللمة إذا أحسوا أيضا بأن أرضهم قد مُست من قبل الأرواح أو أن ماشيتهم قد مست من قبل الشياطين، بل أن هناك من يستدعي العيساويين لإقامة طقوسهم قصد الحصول على بركة لتأمين خيراته وحفظها من العين والتشتت من جهة ثالثة. وقد كان الشيخ الكامل 'الهادي بن عيسى' دائما ما يردد للناس ولتلامذته أن بركته خارقة وقاهرة فيقول: "الإنس والجان كلهم في خدمتي وكذلك الأفاعي المسمومة والوحوش الضارية"[1]، وهذا ما يفسر الطريقة الشعبية الفرجوية لهذه الطائفة، التي غالبا ما تتعامل مع المخلوقات التي يستعصي التعامل معها من قبل عامة الناس.

إن بعض الأساطير التي يرويها الناس مرارا، والتي تعتبر مدخلا مهما لقراءة تحليلية-تأويلية تخص طبيعة الأدوار التي تقوم بها هذه الزاوية داخل تراب القبيلة، تقول إن بركة الشيخ الكامل لا تتوقف عند حدود السيطرة على الأرواح الشريرة والحيوانات المفترسة والضارية، بل تمتد إلى التحكم في مصير الناس، لذلك فالأنجريون يقدسون عيساوة بشكل كبير وينخرطون فيها ويؤمنون بقدرتها على طرد الأرواح الشريرة. ولما كان المجال الأنجري القبلي مجالا غبوياً خطراً تسكنه الأرواح الشريرة والحيوانات الضارية، كان لابد للناس أن يعتقدوا في بركة العيساويين، ويستسلمون لها ويقدسونها؛ كوسيط أساس لحماية المجال، سيما أنها تقدم لهم خدمة جليلة؛ تعمل على طرد هذه الأرواح من أجسادهم ومن أراضيهم وحيوناتهم ومكان تواجدهم، لذلك فمن غير الممكن أن نفهم تدين الناس في المنطقة إن لم نفهم طقوسهم ومعتقداتهم، خصوصا "أن بلاد المغرب بلاد الزوايا والأضرحة بامتياز، وللتوغل فيه ومعرفة أسراره لابد من تفكيك هذه الصروح والإطلاع على مجملها"[2].

واللمة العيساوية ليست كأي مناسبة دينية شعبية، بل تتخذ شكل احتفال ليلي بالضرورة، يبدأ مع صلاة المغرب وينتهي قبيل صلاة الفجر، فبعد صلاة المغرب يجتمع أعضاء الفرقة العيساوية في موكب بالقرب من المنزل؛ حيث ستقام طقوس الليلة العيساوية؛ فيحمل مقدم الطائفة 'العلام'، ويتبعه الشيخ

[1] محمد زوزيو، ظاهرة تقديس الأولياء وأثرها على الحياة الاجتماعية: تطوان نموذجا، إصدارات مكتبة سلمى الثقافية، مطبعة أنفو، فاس-المغرب، 2013، ص 85.

[2] Georges Drague : Esquisse d'histoire religieuse du Maroc : Confréries et Zaouias ; J.Peyron et Cie Edition ; paris ; 1951 ; pp 17-20.

والمريدون فيدخلون المنزل بدق الطبل والبنادر وهم يرددون ما معناه: 'يا جاه محمد قدمنا رسول الله' حتى يصلون إلى الموضع، وغالباً ما يكون عبارة عن ساحة مفروشة بالزرابي، وتسمى عندهم 'بالعادة العيساوية'[1]، حيث يقول الأنجريون بالقول الدارج 'غَنْدَخْلُوا العَادَةْ'، ثم يجلسون لقراءة بعض سور القرآن حسب الاستطاعة، وبعد العشاء يتلون جماعة بحضور شيخ الطريقة، وردهم الرئيس، المسمى 'الحزب الدايم' للشيخ الهادي بن عيسى، وبعد الانتهاء تبدأ ما يسميه العيساويون 'بالأشواط العيساوية'؛ فالشوط هو عبارة عن فسحة يتخللها الرقص والدق على الطبول والبنادر، ويقومون بثلاثة أشواط تفصل بينهما قراءة بعض الأذكار والأوراد؛ الأول صغير لا يدوم زهاء الخمس عشرة دقيقة، أما الثاني فهو متوسط يدوم حوالي نصف ساعة، في حين أن الشوط الأخير كبير جدا، ويدوم حوالي ساعة؛ حيث يتجمع 'الفقرا' بعد أن يسلموا على الشيخ الجالس أمامهم واحدا واحدا، ويقدمون له 'التسليم'[2]؛ فيمسكون في أيدي بعضهم البعض على شكل سلسلة خطية، وهم يهتزون مع نغمات الطبل ويرقصون رقصات تشبه إلى حد ما حركات الحيوانات التي غالبا ما تلعب بالأيدي والأرجل والكتفين؛ وبالضبط 'حركة السبع' سلطان الغابة؛ كإشارة إلى قوة الطائفة وقدرتها على طرد الأرواح من المجال وحراسته، وحركة الضبع في إشارة إلى التعطش للدماء كلما اقتربت الأرواح، وحركة القط كإشارة إلى السرعة والمراوغة، إذ تقام تلك الحركات وهم يرددون: 'الله، الله، الله'.

وقبل أن يقوموا بالشوط الأخير الذي يكون قمة في الفرجة؛ حيث يحضر فيه الرقص إلى جانب بعض الألعاب الأخرى كشرب الماء الساخن 'الكفاطيرا'، والنوم على الشوك 'الهندي'، يطلبون من الحاضرين بعض الهدايا والنقود، فيستمرون إلى أن تنتهي الحفلة، فيدخل الشيخ وفي يده العلام ويغطي به المريض ويقرأ ما يلي: 'يا شفي يا عافي جود باللطف الخافي'، وغالبا حسب ما أكده المستجوبون ما يخف المريض أو يُشفى كليا، فيجمع الشيخ تلك الهدايا، فيدللها نقدا، فتقسم عطايا الليلة إلى ثلاث أقسام: يسمى الأول 'حق العلام'؛ أي حق الزاوية، أما الثاني فهو حق الشيخ، في حين تخصص القسمة الثالثة للمريدين 'حق الفقرا'، الذين حضروا وأقاموا الحفل، وغالبا ما تخصص قسمة الزاوية لصيانتها وتدعيمها اقتصاديا، الأمر الذي يضمن لها الإستمرارية، خصوصا أن العمل العيساوي يصبح مهنة بالنسبة إلى مريديه. فكل الزوايا العيساوية الموجودة بأنجرة، تقيم اللمات داخل القبيلة وخارجها، وفي ليلة الخميس من كل

[1] العادة هنا هي إعلان عن بداية الليلة العيساوية.

[2] التسليم هنا يعني أنه قبل دخول المريد إلى 'الشوط العيساوي' أو أي شخص آخر عادي، لابد أن يقبل رأس شيخه أمام الملأ، بحيث أن عملية التقبيل هنا إنما هي دليل على أن الشيخ سيحمي مريده من كل الأرواح الموجودين في المجال، حيث أن الشيخ العيساوي يصير في تلك الليلة حاكم الأرواح وسلطانهم، في إشارة إلى أن مؤسس الطريقة يتحمل أذية تلك الأرواح ويأخذها هو كبديل عن المريض الذي أقيمت من أجله اللمة أو الليلة العيساوية.

أسبوع، يتجمع مريدو كل زاوية في زاويتهم، مع مقدمهم وشيخهم لقراءة 'الحزب الدايم' بعد صلاة العشاء، وقد كان دور الزاوية العيساوية في السابق يتعدى وظيفة العلاج إلى لعب بعض الأدوار ذات الطابع الاجتماعي كفض النزاعات بين الأشخاص والجماعات على مستوى القبيلة، بناء على طقوس ومعتقدات لا نجدها إلا في القبائل، الشيء الذي لا نجده تقريبا في المدينة، "تمثل المدينة وعلماؤها ثقافة الإسلام الرفيعة، أدبية، شرعوية، توحيدية، رصينة، وطهرانية، على الضد من الثقافات الدنيا أو الصغيرة للبدو، حيث تتمحور حول الولي والسحر والطقس"[1].

ب- الزاوية الدرقاوية: من طقوس الحضرة إلى الجذب الرباني

تنتسب الطريقة الدرقاوية كما هو معروف إلى "شيخ مشايخ المتصوفة المتأخرين، أبو عبد الله سيدي محمد العربي بن أحمد الدرقاوي الزروالي[2]، الشريف الحسني، ينتمي لجده العارف محمد بن يوسف دفين تامسنة من قبيلة الشاوية الملقب بأبي درقة[3]، من ذرية أبي العباس سيدي أحمد بن المولى إدريس الأنوار بن مولانا إدريس الأكبر[4]". كان معاصرا للتيجانيين في أواخر القرن الثامن عشر، وكما هو معلوم فإن الولي الشريف والعالم 'سيدي أحمد بن عجيبة' هو أول من أسس وأدخل الزاوية الدرقاوية إلى قبيلة أنجرة؛ حيث أخذها عن شيخه 'سيدي محمد البوزيدي'[5] الذي ورثها من شيخه مولاي 'العربي الدرقاوي'، وكانت أول زاوية درقاوية ستؤسس بالقبيلة هي التي لا زالت توجد حالياً بمدشر 'الزميج' حيث كان يقطن أحمد بن عجيبة، حيث ظل أحفاده إلى اليوم.

يؤكد المستجوبون بأن الزاوية الدرقاوية لم تكن منتشرة بالشكل الذي كانت منتشرة به الزاوية العيساوية في قبيلة أنجرة، لقد كان مريدوها مقارنة بهذه الأخيرة قلائل، كما أنها لم تكن مستقرة في المداشر بشكل كبير، وأغلبها كان في المدن، ولا تحيي الطريقة الدرقاوية في أنجرة أي احتفالات دينية علنية من أجل علاج الأمراض، أو لطرد الأرواح الشريرة، أو أي شيء من هذا القبيل، بل معروف لدى الطريقة الدرقاوية بأنجرة أن احتفالاتها تقام غالبا في مواسم الأولياء، وذلك لأن القاعدة الأساسية التي كان ينادي

[1] سامي زبيدة، أنثروبولوجيات الإسلام: مناقشة ونقد لأفكار إرنست غلنر، سلسلة بحوث اجتماعية عدد 22، دار الساقي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى 1997، ص 11.

[2] نسبة إلى قبيلة بني زروال، وهي قبيلة جبلية مغربية تمتاز بكثرة الفلاحة وأشجار الزيتون والعنب والتين، تقع شمال مدينة فاس وتتصل بجبال الريف شمالا ويحدها شرقاً كتامة وغمارة، وغرباً بني مسارة، وجنوباً فتالة وبني ورياغل وشمالا بني أحمد وعمالتها مدينة فاس.

[3] كني بذلك لأنه كانت له درقة يتوقى بها في الحروب ولذلك نسب أولاده إليه فقيل لهم الشرفاء الدرقاويون ثم نسب إليه كل من سلك طريق مولاي العربي وانتسب إليها.

[4] عبد الله بن عبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط- المغرب، الطبعة الرابعة 2003، ص 205.

[5] ولي صالح ورجل علم عرف بزهده، ضريحه يتواجد بقرية 'اسطيحات' بإقليم شفشاون.

بها أحمد بن عجيبة ويعلمها لمريديه هي الالتزام بزيارة الأولياء، وكل زيارة تتطلب إقامة احتفال ديني مقدس على غرار قواعد الطريقة الدرقاوية، وعلى غرار ما كان يفعله شيخهم بضريح شيخ جبالة، وقطب المغرب مولاي عبد السلام بن مشيش، كما تحيي لياليها في بعض المناسبات الدينية كالمولد النبوي.

يذكر المستجوبون أنه في بعض الحالات، كان درقاوة يحضرون بعض 'اللَّيالي' لإقامة طقوسهم الدينية، ليس لغرض معين، ولكن من أجل أغراض غير معروفة يكون أغلبها في مولد الأطفال. ولا ندري ما هو التفسير الذي يمكن أن نفترضه لإلحاق احتفالاتهم المقدسة بمواليد الأطفال، اللهم تأويل واحد مفاده أن هذه الزاوية إنما تهتم اهتماما بالغا 'بختان الأطفال'، باعتبار هذه المناسبة أولى خطوات الدخول إلى العرف الإسلامي لدى الأهالي، ولما كانت الأسر الأنجرية فقيرة، كانت هذه الزاوية تقدم خدمات اجتماعية من هذا النوع، تلبية لحاجاتهم أولا، ثم ثانيا لانتشارها وذيوع طقوسها.

ومعروف أيضا أن الطائفة الدرقاوية في قبيلة أنجرة تبدأ احتفالها المقدسة بطقوس خاصة بها؛ بحيث تبدأ الطقوس بقراءة أحزاب من القرآن الكريم، ثم بعد ذلك يقوم الدرقاويون بقراءة حزب الطائفة؛ الذي يسمى عندهم 'بحزب المفرد'، حيث يرددون بعض الجمل والكلمات الدينية بشكل متتالي ومسترسل، بحيث يفتتحون طقوسهم الدينية بعبارة 'لا إله إلا الله' ثلاث مائة مرة، وعند الانتهاء يعيدون الكرة بقراءتها ثلاث مائة مرة أخرى قبل أن ينتقلوا لقراءة الصلاة المشيشية، التي أدخلها أحمد بن عجيبة في صلب الطريقة الدرقاوية بأنجرة، وبعدها يخرجون 'اللطيف الصغير'؛ حيث يقولون: 'يا لطيف يالطيف' تسع مرات، ثم يرددونها عشرون مرة، حتى يصلوا في المرة الثالثة إلى المائة، وبعدها يخرجون 'اللطيف الكبير'، ويصل إلى ألف مرة، وهذا الأخير غالباً ما يُتلى من أجل الهدايا والعطاءات التي يقدمها الحاضرون، وعند الانتهاء يقومون بالصلاة على النبي على طريقتهم؛ حيث يقومون ويشكلون دائرة، وهم يرددون ما يلي: 'صلى عليك وسلم أسيدي رسول الله' حوالي سبعة وعشرين مرة، وعند الانتهاء يبدأ الدرقاويون بدق الطبول والبنادر، وهم يرقصون ويهتزون على شكل دائرة، وهم يصيحون جماعة بصوت عال: 'الله، الله، الله'؛ وهي عندهم تسمى طقوس 'الحضرة أو الجذبة الدرقاوية'، فهذه الحياة الطقوسية وإن تبدو كأنها منفردة، إنما تهم المجال القبائلي برمته، يقول جاك بيرك بهذا الصدد: "إن الحياة الطقوسية تنحصر، على الأقل فيما يخص القرية، في احتفالات دورية تدعم إيقاع الفصول وتحمي السلامة القانونية، وتحافظ على النظام الزراعي والدفء الجماعي"[1].

[1] Jaques Berque : Structures Sociales du Haut-Atlas ; PUF . Paris ; 1955, p 256.

لقد ظلت الزاوية الدرقاوية في قبيلة أنجرة بعيدة كليا عن الأدوار السياسية، ولا نرى لها أيضا حسب المستجوبين أي أدوار اجتماعية غير تلك الطقوس المرتبطة بالختان كعملية جماعية، لكنها ظلت منخرطة بشكل كبير في لعب أدوارها الدينية التعليمية، فالزاوية الرئيسية الموجودة في مدشر 'الزميج' ظلت محافظة على إرثها التاريخي منذ تأسيسها، ووظيفتها الأولى هي تعليم وتكوين الفقهاء والخطباء والوعاظ، ولا زالت هناك إلى اليوم 'دار الطلبة' يدرس بها المتعلمون الدينيون من مختلف أنحاء المغرب، فبعدما اطلعنا عليها وجدنا أن هناك طلبة من مختلف مدن المملكة؛ من فاس، ومكناس، وطنجة، وسبتة، وتطوان، ومن قبائل أخرى كثيرة، إن هذا الدور التعليمي الديني لا زال قائماً إلى اليوم، ولو أنه ليس بالشكل الذي كان فيه من قبل، فلا زال أحفاد الولي العالم أحمد بن عجيبة يصونون الزاوية ودار الطلبة ويقومون بتعليمهم القرآن والحديث والفقه، كما نجد أيضا أن حفيد الولي الصالح سيدي عبد القادر بن عجيبة، بمدشر غدير الدفلة 'سيدي عبد الواحد'، لا زال إلى يومنا هذا يلقن لطلبته الأوراد، والقرآن، والحديث، والفقه في زاويته الموجودة بهذا المدشر، ويقيم حفلا دينيا بنفس الطقوس التي سبق أن ذكرناها، كل مساء من يوم الأربعاء من كل أسبوع في هذه الزاوية، حتى يستلهم ويضبط الطلبة طقوس الزاوية ومبادئَها.

لقد كان للزاوية الدرقاوية في السابق وإلى حدود الثمانينات من القرن الماضي مريدون كثر في مختلف مداشر أنجرة، أما اليوم فقد قلوا، حتى أن دور الزاوية فيما يخص التعليم الديني قل هو الآخر، نظراً لضعف الدعم الاقتصادي الذي يوفره أهل المداشر، كما أن الاحتفالات الدينية المقدسة التي كانت الزاوية الدرقاوية تعتمد عليهم في تدبير شؤونها الاقتصادية، لم يعد الناس يحضرونها أو يعيرونها اهتماما، حتى يحصلوا على الدعم المادي اللازم، وما بقي سوى بعض الأوقاف التي أوقفها أهل القبيلة على الشرفاء آل بن عجيبة، وهي المصدر الوحيد تقريبا الذي لا زلت الزاوية تعتمد عليه في تدبير شؤونها الاقتصادية، واستمرارها للعب أدوار دينية وتعليمية، بل إن بعض الأدوار الاجتماعية القليلة جدا التي عرفت بها الزاوية، وخصوصا في عهد الولي العالم المؤسس سيدي أحمد بن عجيبة، وابنه سيدي عبد القادر بن عجيبة، المتعلقة بتدبير العلاقات الاجتماعية بين أرباع القبيلة، لم يعد لها وجود، على الرغم من أن الزاوية الدرقاوية تنتشر في كل أرباع القبيلة كما لاحظنا من خلال المعطيات الميدانية المضمنة في الجدول أعلاه.

إن اندثار هذه الأدوار، يعني أن العلاقات التي كانت تربط القبيلة بالزاوية قد تلاشت بشكل كبير ومتسارع؛ فالقانون السياسي الوضعي الذي وضعته الدولة بعد الاستقلال لتحمي النزاعات، قد انتشر في البادية، ولم يعد الناس يعتمدون على السنن والتقاليد العرفية، التي كانت من قبل من أجل فك نزاعاتهم وفي علاقاتهم الاجتماعية بعضهم ببعض، فقد أصبح القانون الوضعي هو سيد الموقف، وهو الضامن

الوحيد لما قد يحدث بين أرباع القبيلة أو بين مداشرها، فلم تعد السلطة الدينية للزاوية أو الشيخ هي المصدر الوحيد لتدبير المجال وتسيير العلاقات، فقد كان الناس في السابق يتوجهون إلى الزوايا والأولياء حتى يبرموا عقودهم والتزاماتهم، وحتى ييسروا حياتهم اليومية، أما اليوم فلم يعد الأمر كذلك، لقد تغير القانون العام الذي كان يسير البادية بتغير المجتمع وبتطور أفراده وتحولهم من عقلية قبلية إلى عقلية حداثية عصرية تعتمد على القوانين الوضعية المخزنية، لا على القوانين العرفية، أو المقدسة الأوليائية، فانتقلت السلطة من سلطة دينية وروحية رمزية، إلى سلطة مادية أساسها القانون المكتوب الذي يجد تطبيقاته في عمل المخزن، باعتباره جهازا واقعيا ملموسا، كونه الآلية الوحيدة المسيطرة على مختلف مناحي الحياة.

ج- الزاوية التيجانية: طقوس مغلقة لتدين احتكاري

من المعلوم أن الطريقة التيجانية "تأسست ابتداء من سنة 1179هـ ما يوافق 1765م، على يد أبي العباس أحمد بن محمد بن المختار التيجاني المزداد سنة 1150هـ الموافق لسنة 1737م، بمنطقة عين المهدي في جنوب الجزائر؛ حيث قضى أيام حياته الأخيرة بفاس حتى توفي سنة 1231هـ الموافق لسنة 1815م"[1]، ما يعني أن هذه الطريقة بدأت في الانتشار ابتداء من أواخر القرن الثامن عشر حتى امتدت إلى غرب إفريقيا، لكنها لم تصل إلى قبيلة أنجرة إلا مع بزوغ القرن التاسع عشر، وأول زاوية تيجانية ستتأسس بالقبيلة كانت في مدشر 'بولعشيش' من فرقة ربع البرقوقيين، على يد الفقيه العلامة سيدي الهاشمي بولعيش[2] سنة 1319هـ، المنتسب إلى عائلة 'أبي العيش' التي كان لها دور كبير في الحركة السياسية للقبيلة، بعد دخول الاستعمار الإسباني إلى بلاد جبالة وخصوصا قبيلة أنجرة.

يبدو أن التاريخ يدل على أن هذه الطريقة كانت آخر الزوايا التي استقرت بتراب أنجرة، إلى عهد قريب مقارنة بالزاوية العيساوية والدرقاوية، وتعود ظروف استقرار هذه الزاوية في أنجرة إلى أن الفقيه سيدي الهاشمي بولعيش رأى أنه من الضرورة أن تستقر هذه الطائفة بالقبيلة، حتى يتعلم أهلها بعض مبادئها وحتى لا تترك مجالا لتقديس الأولياء والقبور والمواسم، وكي تحارب العيساويين والدرقاويين كونهم من

[1] محمد زوزيو، ظاهرة تقديس الأولياء وأثرها على الحياة الاجتماعية: تطوان نموذجاً، نفس المرجع السابق، ص 104.

[2] هذا البيت بيت علم وصلاح، معدود من الأشراف الأدارسة، ينتهي نسب أسرة أبي العيش إلى الأمير سيدي قاسم بن إدريس الثاني، يكنون فيما يذكر بالعيشونيين، وأبوالعيش هذا هو سيدي أحمد بن القاسم كنون، بن محمد ابن القاسم، ابن ادريس الثاني بن إدريس الأول بنعبد الله الكامل المحض بن الحسن المُثنّى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء سلام الله عليهما، ومن ذريته أولاد القمور، وأولاد شتوان، وأولاد أبي العيش، وأولاد الصروخ.

أهل البدع؛ لأن الموسيقى غلبت على أمور طريقتهم، وذلك لأن شيخهم أحمد التيجاني[1] كان يحذر مريديه من زيارة الأولياء الموتى والأحياء، والإيمان بهم سوى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم.

يذكر الباحث روني برونيل بهذا الصدد أن شيخهم منعهم من ذلك "لا بدافع الغيرة والحقد ولكن مخافة ألا يحسنوا آداب الزيارة[2]". إن هذه الطريقة منغلقة على نفسها تماما، ومن دخلها عليه أن يلتزم بضوابطها حتى الممات، لا يجب على التيجاني أن يكون منتميا أو سبق له أن انتمى إلى زاوية أو طريقة معينة، فإذا كان يسمح للدرقاوي أن يكون في نفس الوقت عيساوياً والعكس صحيح، فالتيجاني لا يمكنه ذلك، "على التيجاني أن يطبق تعاليم الشيخ بحذافيرها وأن يتجنب بدقة كل المحرمات، وأن لا يتخلى أبدا عن الورد الذي ينبغي تلاوته حتى الموت[3]".

كما أن المريد الذي يريد الانخراط في هذه الطائفة، عليه أن يخضع لواجبين إلزاميين أو شرطين هما: شروط الصحة، وشروط الكمال، وهي شروط لابد منها، وتعتبر مقدسة بإطلاق عند الأسرة التيجانية، ولمن ينتسب لها عامة؛ فشرط الكمال يتطلب من المريد أن يستحضر دائما في ذهنه، صورة شيخه وصورة النبي صلى الله عليه وسلم، فهو بدونهما ناقص لا يكتمل أبدا، واستحضار الشيخ هنا علامة من علامات الطاعة والخضوع، أما استحضار النبي في كل لحظة فهو علامة على الإيمان المطلق بالله ورسوله، وأن يستوعب معاني 'الوظيفة' وأن يكون متوجها للقبلة، وعلى طهارة دائما أثناء تلاوتها، أما شروط الصحة؛ فتعني الطهارة المطلقة للروح والجسد، والمكان، وهي علامة على تدريب النفس من كل الأمور الدنيوية التي تدنسها، كما تتطلب صمتاً كاملا أثناء التلاوة ونية خالصة وخشوعا تاما لا حركة فيه. إذ يبدو من خلال الشروط أن المريد يجب أن يخضع لطقوس معينة، لا تكتمل مشيخته إلا من خلال العمل بها.

تؤكد المعطيات الميدانية أن الزاوية كانت منتشرة في أنحاء القبيلة، فكان هناك زوايا كثيرة متفرقة، من بينها تلك التي كانت في مدشر 'عين دشيشة' من فرقة ربع 'حيث الغابة'، ومدشر 'الرمان' و'المنار' من ربع

[1] أبوالعباس أحمد التيجاني هو أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد بن محمد سالم التيجاني، وأمه عائشة بنت محمد بن السنوسي المضاوي التجاني، رجل دين ومتصوف ومؤسس الطريقة التيجانية، ولد سنة 1737 بقرية 'عين ماضي' الحالية بولاية الأغواط الجزائرية، وهي بلده ومقر أسلافه، ينتسب أفراد هذه الأسرة إلى قبيلة 'تجان' - بكسر التاء- من قبائل المغرب الأقصى، يعتبره الكثيرون مؤسسا للطريقة التيجانية الصوفية والزاوية التيجانية الذي لا يزال مقامه وزاويته. قضى حياته في كل من الجزائر، موريتانيا، السودان، الحجاز، تونس، مصر والمغرب، إلى أن توفي بمدينة فاس سنة 1815 بعد أن هاجر إليها بسبب استيائه من الحكم التركي في الجزائر، للمزيد حول الأسرة التيجانية أنظر:

أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التيجاني، رحلة التيجاني، حققها وقدم لها حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1981.

[2] René Brunel : Essai sur La confrérie Religieuse des Aissaouas Au Maroc ; Afrique Orient ; Casablanca-Maroc ; 1988 ; pp 55-56.

[3] Vedette : Le Maraboutisme et Le culte des saints ; Ed de l'ordre ; Deux tomes ; Alger ; 1965 ; pp 7.

فرقة البحراويين، كما كان هناك مريدون من 'القصر الصغير' و'تطوان' و'سبتة'، و'طنجة'، ومن قبيلة 'الحوز' و'وادراس'، لكن كل تلك الزوايا اندثرت ولم يعد لها وجود إلى حدود التسعينات، لأن الأنجريين تخلوا عن انتماءاتهم إلى الطريقة لأسباب؛ أولها أن الفقهاء الذين كانوا يسيرونها ويعلمون الطلبة قواعدها الأساسية قد ماتوا، ولم يجدوا من يخلفهم بعد وفاتهم. ثانيها أن طقوس الزاوية إنما لا تجد أذانا صاغية من قبل مجمل الأنجريين، سيما أن المنتسبين لها، عادة ما يكونون من الطبقة الغنية، ما يتنافى مع الوضعية الاجتماعية لمجمل الأسر الأنجرية.

أما اليوم فلم تبق بأنجرة سوى زاوية وحيدة بمدشر 'بولعيشش'، ولا زالت تقوم بأدوارها الاجتماعية والدينية، يوجد بها 'معمرة أو مسيد' هي بمثابة دار للطلبة، يأتون إليها من داخل القبيلة ومن خارجها، وقد ذكر مقدم الطريقة أن 'المعمرة' يدرس بها حالياً ما يناهز الثلاثين طالباً من داخل القبيلة وخارجها، منهم ستة طلبة ليسوا من الشمال معظمهم من فاس ونواحيها، وأزيد من سبعة طلاب من طنجة وسبتة وتطوان، تتكلف بمصاريفهم الزاوية حتى يتخرجوا منها فقهاء أو وعاظا أو مرشدين دينيين.

إن الزاوية التيجانية لها موارد اقتصادية ضخمة، تتجاوز بكثير الموارد المتعلقة بالزوايا الأخرى، وأن أغلبها تأتي من المنخرطين، الذين هم في الغالب من الطبقة الميسورة، وقد لاحظنا بالفعل طيلة المقابلات أن منخرطي الزاوية التيجانية بالقبيلة ليسوا من الطبقة الفقيرة أو المتوسطة، بل أغلبهم من طبقة أعلى وأرفع والتي تضم في غالبيتها الموظفين، والتجار، وأعيان المخزن، وهذا ما يفسر قلة انتشارها اليوم بتراب القبيلة.

يقام للزاوية التيجانية موسم سنوي على أعتاب مدشر 'بولعيشش'، يكون افتتاحه في فجر اليوم السابع من شهر غشت من كل سنة، وقد من حسن حظنا أن نحضر هذا الموسم كباحثين بدعوة من إمام الزاوية، يبدأ الموسم بعد صلاة الفجر؛ حيث يقدم الفطور للحاضرين وأغلبهم كما لاحظنا من الأعيان، ويظل الطلبة يقرأون القرآن إلى مطلع الصبح، فيذبح ثورا أو ثورين على شرف المنخرطين التيجانيين، وعلى شرف أهل المدشر والقبيلة الحاضرين، فتظل الأجواء كما هي عليه. وبين الفينة والأخرى يتدخل فقيه أو خطيب ليقدم بعد الدروس التي تتعلق بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وبعد صلاة الظهر، وإتمام وجبة الغداء يجتمع التيجانيون في الزاوية، ويبدأون في ترتيل الأوراد الخاصة بالطريقة التيجانية؛ وأول ما يبدأون به هي الأوراد اللازمة، والتي تسمى عندهم 'بالوظيفة'، هذه الأخيرة التي تتضمن مجموعة من المرددات الدينية؛ حيث يرددون 'أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو' مائة مرة، فينتقلون مباشرة إلى ما يسمونه 'بصلاة الفاتحي' وتردد حوالي 80 مرة، بعدها تصلى صلاة العشاء ثم يتناولون وجبة العشاء و ينتقلون مباشرة إلى ما يسمى 'الهيلة'، وهي عبارة عن أذكار تردد 100 مرة، ثم في

الأخير 'الجوهرة' التي تردد 12 مرة، فيكون الحفل بهذا قد انتهى لتعاد الدورة من صـلاة الفجر إلى غاية بعد الظهر من اليوم الموالي، فينتهي الموسم.

كما أن مريدي التيجانية بأنجرة يلتقون كل يوم جمعة في الزاوية، فتلقى الخطبة وبعد الصـلاة يظل المريدون مع الطلبة الذين يدرسـون بالزاوية يتلون ورد 'الوظيفة' ألف مرة حتى غروب الشـمس، وهكذا يفعلون في يوم الجمعة من كل أسبوع، كما أطلعنا المقدم أن الزاوية التيجانية تحتفل بالطلبة المتخرجين في حفل ديني بهيج يسمى 'ختمة السلكة'[1]، فيحتفلون بالطالب المتخرج وتقام وليمة على شرفه، في حين يحتفلون ببعض المناسبات وخصوصا عاشوراء، والمولد النبوي، وليلة القدر؛ حيث يستقرون بالزاوية يتلون كما هو معروف من قصائد المدح النبوي وأذكار الطريقة.

خاتمة

لقد حاولنا إذن من خلال تقديم هذه الزوايا التي كادت تندثر، مع احتفاظها ببعض الأدوار البسـيطة التي نعتقد أنها في طريق الزوال تدريجيا، تقديم صـورة سـوسـيولوجية واضـحة للمقدس الزاوياتي بالمنطقة، وحتى نوضح أن الزاوية بأنجرة كمؤسسة كانت تؤدي أدواراً مهمة؛ منها ما هو علاجي، ومنها ما هو اجتماعي، وتعليمي، وديني، وسـياسـي، إلى غير ذلك، رغم بعض الدعوات الأنثروبولوجية التي تزيل عنهم هذه الأدوار بدعوى أنها "بقايا وثنية"[2]، وليس أدوارا بالمعنى الحقيقي للبنية القبلية. لكن يبقى التسـاؤل مطروحا اليوم حول شـرعية هذه الزوايا في الاسـتمرار في ظل انشـغال الجبليين عن كل تلك الأدوار التي كانت تقوم بها هذه الزوايا، وفقدانهم الثقة في بركتها وقدرتها على شـفائهم وعلاجهم من الأمراض.

إن هذه الشرعية التي كان مصدرها ديني محض، لا يمكن أن نقر أنها انمحت نهائيا، بل لا زالت حاضرة، حضـورا يحيل على أنها يوما بعد يوم تزداد تراجعا وإهمالا في القرن الواحد والعشـرين مقارنة بالقرون الأخرى التي مضـت، وإذا كان الأنجريون بالفعل يقدسـون الأولياء والزوايا، فإنهم لم يقفوا عند هذه الأشكال والأنماط من التدين، بل قدسـوا أصنافا وأشكالا أخرى من القوى التي يعتقدون أن مصدرها ديني، وهذا المصدر لم يكن ليكون لولا الاعتقاد القوي لجبالة في كل ما هو خارق أو عجائبي أو أسطوري، بل حتى ما هو خرافي أحيانا.

[1] يقول جبالة أن فلاناً ختم السلكة معناه أنه أكمل درسة وحفظ القرآن الكريم من بدايته حتى نهايته، وفيها السلكة الصغيرة وتعني حفظ النصف الأول من الكتاب، والسلكة الكبيرة وفيها يكمل الطالب القرآن كاملا، ويقام احتفال 'سلطان الطلبة' بهذه المناسبة.

[2] Edward Westermarck : Ritual and Belief in Morocco ; Tom I ; New-York University ; Books 1968 ; p 5.

إن البنيات الذهنية للأنجريين بالخصـــوص كما رأينا تميل ميلا عجيباً إلى هذا الجانب المرتبط بما هو خارق؛ بحيث لا يقدس الأنجريون مكاناً ما، إذا لم يكن لهذا المكان أثر مادي تعكســه الحكايات الشــعبية أو الروايات الشعبية أو القصص الشعبي، تتعلق بما هو أسطوري أو خارق للعادة، لذلك فنحن نؤكد أن الزاوية كانت دائما تفرض نفســها داخل هذا النســق، وتمتد في كل تشــعباته البنيوية، بفعل قوتها التي تستمد شـرعيتها من الحقل الديني، لكن الملاحظ اليوم أن هذه القوة بدأت تفقدها شـيئا فشـيئا، نتيجة لعدة متغيرات.

لائحة المصادروالمراجع

اللغة العربية

- أبو العباس احمد ابن محمد الرهوني، عمدة الراوين في تاريخ تطاوين، تحقيق الحاج جعفر بن الحاج اسليمي، منشورات جمعية تطاوين أسمير، الجزء الثامن، سلسلة تراث رقم 6، تطوان-المغرب، 2011.
- أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التيجاني، رحلة التيجاني، حققها وقدم لها حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1981.
- إدموند دوتي، السحر والدين في إفريقيا الشمالية، ترجمة فريد الزاهي، منشورات مرسم، مطبعة بورقراق، الرباط-المغرب، 2008.
- أوجيست موليبراس، المغرب المجهول:اكتشاف جبالة، الجزء الثاني، ترجمة عز الدين الخطابي، منشورات تيفراز، مطبعة النجاح الجيدة، الدار البيضاء-المغرب، الطبعة الأولى 2013.
- إيميل دوركهايم، قواعد المنهج في علم الإجتماع، ترجمة محمود قاسم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة-مصر، 1970.
- خينارو أورياطي، الروابط الدينية بجبالة ومختلف طوائف الشرفاء:الزوايا والأضرحة، ترجمة عبد العزيز العيادي العروسي، مطبعة سبارتيل، الطبعة الأولى 2010.
- ديل إيكلمان، الإسلام في المغرب، ترجمة محمد أعفيف، سلسلة تاريخ ومجتمعات، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء-المغرب، الطبعة الأولى 1991.
- سامي زبيدة، أنثروبولوجيات الإسلام: مناقشة ونقد لأفكار إرنست غلنر، سلسلة بحوث اجتماعية عدد 22، دار الساقي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى 1997.
- سليمان الحوات الشفشوني، ثمرة أنسي في التعريف بنفسي، حققه وعلق عليه عبد الحق الحيمر، مركز الدراسات والبحوث الأندلسية، شفشاون-المغرب، مطبعة الحداد يوسف إخوان (الهداية)، 1996.
- عبد السلام فيغو، مجلة صدى أنجرة، إصدار المجلس العلمي المحلي، العدد الثاني، مطبعة الطوريس، طنجة-المغرب، 2013.
- عبد العزيز خلوق التمسماني، جوانب من تاريخ جبالة المعاصر: القائد أحمد الريسوني وإسبانيا، منشورا سلكي إخوان، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء-المغرب، الطبعة الأولى 1996.

– عبد اللطيف شهبون، عن الأسرة البقالية، أعمال ندوة الأسر العلمية بشمال المغرب(الأسرة البقالية نموذجا)، تنسيق مصطفى الغاشي وعمر البقالي، مطبعة الحمامة، تطوان-المغرب، 2018.

– عبد الله بن عبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط- المغرب، الطبعة الرابعة، 2003.

– محمد بن العياشي السكيرج، الدرر الآلي في ثبوت الشرف البقالي، طنجة-المغرب، الطبعة الثانية 1987.

– محمد جندوبي، الأولياء في المغرب:الظاهرة بين التجليات والجذور التاريخية والسوسيوتاريخية، منشورات كنال أوجوردوي، مطبعة دار القرويين، فاس-المغرب، 2004.

– محمد زوزيو، ظاهرة تقديس الأولياء وأثرها على الحياة الاجتماعية: تطوان نموذجا، إصدارات مكتبة سلمى الثقافية، مطبعة أنفو، فاس-المغرب، 2013.

– محمد عمراني، الشرف والسلطة السياسية بالشمال الغربي المغربي، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط-المغرب، 2015.

– محمد كنون الحسني، من أعلام الأسرة البقالية الشيخ سيدي محمد البقالي، أعمال ندوة الأسر العلمية بشمال المغرب(الأسرة البقالية نموذجا)، تنسيق مصطفى الغاشي وعمر البقالي، مطبعة الحمامة، تطوان-المغرب، 2018.

– المختار الهراس، معلمة المغرب، الجزء الثالث، الجمعية المغربية للتأليف والنشر، مطابع سلا، الرباط-المغرب، 1991.

– مقابلات ميدانية مع عدد من المستجوبين، تهم شيوخ ومقدمي الزوايا الدينية بقبيلة أنجرة.

اللغات الأجنبية

– Bel, L'Islam Mystique, suivi de ES-SOYOUTI : les dires du prophète ; Jules Carbonel ; Paris ; 1928.

– Chelhod Josef, Les structures de sacré chez les Arabe (Islam d'hier et d'aujourd'hui) ; Maisonneuve et Lazare ; Vol.XIII ; Paris ; 1965.

– Edward Westermarck, Ritual and Belief in Morocco ; Tom I ; New-York University ; Books 1968.

- Gabriel Le Bras, Etude de sociologie Religieuse ; vol 2; PUF; Paris; 1953.
- Georges Drague, Esquisse d'histoire religieuse du Maroc : Confréries et Zaouias ; J.Peyron et Cie ; Paris ; 1951.
- Jacques Berque, Structures Sociales du Haut-Atlas ; PUF . Paris ; 1955.
- Jean Marie Vincent : Rationalité et conduite de la vie ; science politique (s) ; vimé ; N° 2-3 ; Mai 1993 .
- René Brunel, Essai sur La confrérie Religieuse des Aissaouas Au Maroc ; Afrique Orient ; Casablanca-Maroc ; 1988.
- Vedette, Le Maraboutisme et Le culte des saints ; Ed de l'ordre ; Deux tomes ; Alger ; 1965.
- Wilhelm Dilthey, The Rise of Hermineutics ; In P.conerton (ED) Critical Sociology ; Penguin Book ; 1970.